القيمة التراثية في السكن بين الاستدامة والاندثار
نموذج مدينة أولاد جلال بالجزائر

The heritage value in housing between sustainability and extinction
The model of the city of Ouled DjellaL in Algeria

أحمد جويمعة*[1]، أسيل تركية[2]

[1] معهد الهندسة المعمارية والعمران بجامعة الحاج لخضر باتنة 1 (الجزائر)، adjouima@yahoo.fr
[2] معهد الهندسة المعمارية والعمران بجامعة الحاج لخضر باتنة 1 (الجزائر)، torkiaessil@yahoo.fr

تاريخ الاستلام : 2021/04/28 تاريخ القبول : 2021/08/06

ملخص: تحوي المدن الجزائرية العديد من المباني التي لها أهمية ثقافيه وتراثيه خاصه تميزها وتدعونا للحفاظ عليها. مع ظهور فكرة الحفاظ على المباني التراثية، تبنى المعماريون مبدأ الترميم كآلية للصيانة والحفظ بيد أنه ومع تطور المفاهيم في حقل الحفاظ، تحول هذا المفهوم تدريجيا من مفهوم حماية إلى مفهوم الحفاظ المستدام ليشمل عملية الإبقاء وصيانة المبنى مع الإلمام بالقيم المتعلقة به، بنسيجه المعماري وبمميزات مجتمعه. يتميز المجمع السكني البيومناخي المنجز في ثمانينات القرن الماضي بأولاد جلال جنوب الجزائر من أهم المعالم المعمارية الحية المستحوذة على اهتمام كل باحث أو زائر لهذه المدينة .فبالرغم من توافقه مع البيئة وفق إطاري الحماية والتكيف و اشتماله على العديد من مبادئ الاستدامة في التعامل مع الموقع، الفكر التصميمي البيئي للمسكن التقليدي والحفاظ على الطاقة، إلا أنه يتعرض إلى عمليات تغيير و تحويل تغير الوجه التاريخي له ولمشهده الحضري بحجة تطور الاحتياجات العصرية للسكان. ألحقت بهذا الموروث المعماري أضرار جمة، حيث استبدلت أجزاء من نسيجه العضوي بأجزاء جديدة تسببت في عزله وهددت بقاءه. اتبع البحث منهج الوصف الاستقرائي لإبراز أهمية هذا النموذج لفنون العمارة البيئية المستدامة، ثم المنهج التحليلي لرصد دوافع التغييرات المتعمدة و الغير متعمدة من قبل المستخدمين، لينتهي بمجموعة من النتائج و التوصيات من شأنها انقاذ ما تبقى من عبق الماضي العمراني وبالنهضة السياحية لهذه المدينة.

الكلمات المفتاحية : الحفاظ المستدام؛ القيمة التراثية؛ أولاد جلال؛ التصميم البيئي؛ المنهجيات

Abstract : Algerian cities hold many buildings that have special cultural and heritage significance that distinguish them and require their preservation. Accordingly, architects have adopted the principle of restoration as a mechanism for maintenance and preservation. However, with the development of concepts in the field, this concept gradually shifted from the concept of protection to the concept of sustainable preservation to include the process of maintaining the building with knowledge of the values related to it, its architectural texture and the features of its society. The bioclimatic housing complex, built in the eighties of the last century, in Ouled DJellal, southern Algeria, is one of the most important living architectural landmarks that attracts the interest of every researcher or visitor to this city. Despite the environmental design of traditional housing and energy conservation, the housing complex has been subject to several processes of change and transformation of its historical shape and its urban landscape under the pretext of the development of modern needs of the population. This architectural heritage was severely damaged, as it replaced parts of its organic tissue with new parts that isolated it and threatened its survival. This research follows an inductive description approach to highlight the importance of this model for sustainable environmental architecture. An analytical approach to monitor the drivers of intentional and unintentional changes by users is also used, to end up with a set of results and recommendations that would save what remains of the architectural past and the tourism uplift of this city.

Keywords : sustainable preservation; Heritage value; Ouled Djellal; environmental design; Methodologies

* المؤلف المرسل

مقدمة :

إن عمليات التدهور والهدم والتعديات التي تتعرض لها المباني التراثية جنوب الجزائر الثري بعمران قصوره المصنفة عالميا وعمارته السكنية البيئية والمستدامة كما هو حال العديد من مدننا العربية، أدت إلى فقدان العديد منها أو تشويهها. ومع سيطرة النموذج العالمي على العمارة لكثير من المناطق السكنية والتي تحوي على هذه الشواهد، فقد لاحظنا أن عمليات الحفاظ على التراث لم تعد وحدها قادرة على تحقيق الاستمرارية والديمومة بالتواصل مع التراث العمراني والمعماري المتواجد، فنجد العديد من التجمعات والمناطق السكنية خالية تماما من نماذج معمارية تأصل هذه المفردات والقيم التراثية الموروثة أو المكتسبة ومن ثمة انقطاع وانفصال عن هذا التراث على المستويين العمراني بمشهده الحضري والمعماري بتصاميمه الحالية النمطية. ومن هنا تبرز أهمية البحث في كيفية الاستفادة من مفهوم الاستدامة في عملية الحفاظ كأسلوب لتأصيل القيم واستخدام المفردات التراثية في بعض المشاريع الجديدة لتحقيق الاستمرارية والتواصل مع التراث في ظل سيطرة ظاهرة العولمة.

إن التجربة المنياوية لمكتب دراسات معماري الفقراء حسن فتحي من خلال مجمعه السكني الاجتماعي البيوميناخي 80 شقة بأولاد جلال جنوب الجزائر والمنجز في إطار التعاون الثقافي بين الجزائر و مصر في ثمانينات القرن الماضي ، هي من أهم المعالم المعمارية الحية المستحوذة على اهتمام كل باحث أو زائر لهذه المدينة عند مدخلها .فبالرغم من توافقها و تناغمها مع البيئة وفق إطاري الحماية والتكيف و اشتمالها على العديد من مبادئ الاستدامة، إلا أنه شوه و أزيلت البعض من عناصره المعمارية التي أصبحت تهدد بقاءه .حيث أنه ظل تجربة فريدة في المنطقة لم يستفد منها كمنشآت سكنية صديقة للبيئة و مرآة لعمارة فنية مستدامة.

يري البحث أن عملية الحفاظ والترميم للمباني التراثية لا تعد كافية للحفاظ على التراث المعماري والعمراني من مفردات وقيم نتيجة لفقدان الكثير من هذه الشواهد التاريخية ، وضماناً لتحقيق الاستمرارية والتواصل مع التراث المعماري والعمراني على مستوى مدينة أولاد جلال يفترض البحث بأنه بتفعيل مبدأ الاستدامه من تأصيل بعض القيم التراثية التي تحتويها تصاميم مجمعها السكني البيوميناخي 80 شقة وتوظيف مفردات تشكيلها التراثية فى بعض المشاريع الجديدة يكفل:

- ديمومة واستمرار هذه القيم والمفردات التراثية ؛ لأن إعادة توظيفها يحفظها من الاندثار والاستفادة منها وإمكانية تطويرها بما يتماشى مع التطور التكنولوجي والاجتماعي والثقافي .
- تحقيق التواصل البصري مع التراث المعماري والعمراني على مستوى المدينة ومن ثم تأكيد البصمة المعمارية في ظل سيطرة وتأثير ظاهرة العولمة على النتاج المعماري الحالي.

تتركز أهمية البحث في إيجاد مفهوم واضح لمعنى التراث المعماري ليفيدنا هذا المفهوم و يدلنا على أهمية هذه المباني التاريخية وحتى ننطلق من خلال هذا المفهوم إلى الطرق العلمية للمحافظة عليها .

1. منهجية البحث:

ينتهج البحث كلا من المنهج الوصفي الاستقرائي لإبراز كافة المفاهيم النظرية العامة المرتبطة بجوانب الدراسة، ثم المنهج التحليلي لإبراز أهمية المجمع السكني كتراث معماري ذو قيمة فنية ومستدامة ثم رصد التغييرات المتعمدة و الغير متعمدة التي تهدد ديمومته، لينتهي بمجموعة من النتائج و التوصيات.

2. تحليل مفهوم المصطلحات الدالة بالبحث :

التراث: هو كل ما يرثه الانسان من ماضيه سواء كان مادياً اوغير مادي، وهويعد من أكثر المفاهيم تجددا و تنوعا. نحن لا نستعمل التراث استعمالا واحدا و إنما الإلمام بكل ما يحمل من أبعاد و قيم أساسا للتواصل الحضاري. إن التراث تذكير حي ودائم وصلة وصل بين المراحل الكبرى للتطور وتركيز هذه الصلة على أساس وحدة الشخصية القومية و تفاعلها الإنساني الحضاري الشامل مع العالم، وعلى أساس هذه النظرة الحية الى التراث يصبح الماضي منطلقا وحاضرا وداعما لكل محاولة لتجديد الحياة (حيدر كمونة، 1998).

التراث العمراني: هو مجموع المباني والمنشآت والتشكيلات ونتاج العلاقات المركبه بين المباني والفراغات والمحتوى والبيئة التي استمرت وأثبتت أصالتها وقيمتها في مواجهة التغير المستمر والمتصل أحيانا وغير المتواصل أحيانا أخرى واكتسب القبول العام والاحترام (أبو ليلة والبرقاوي، 2018).

التراث المعماري: لا يقتصر علي الآثار الهامة فقط ولكن يشمل أيضا مجموعة من المباني الأقل أهمية في المدن القديمة والقرى المميزة في بيئتها الطبيعية والتي هي من صنع الإنسان، كما أعتبر التراث المعماري جزء لا يتجزأ ولا ينفصل من التراث الثقافي والحضاري للعالم كله وأنه لا يقتصر علي المباني ذات القيمة المتميزة ومحيطها المباشر، وإنما يشتمل ايضا علي المناطق والمدن والقرى ذات الاهتمام التاريخي (الميثاق الأوربي للتراث المعماري، 1975).

المجمعات أو المعالم الحضرية او الريفية: القصبات والمدن والقصور والقرى والمجمعات السكنية التقليدية المتميزة بغلبة المنطقة السكنية فيها، والتي تكتسي بتجانسها ووحدتها المعمارية والجمالية، أهمية تاريخية أو معمارية أو فنية أو تقليدية من شأنها أن تبرر حمايتها واصلاحها واعادة تأهيلها وتثمينها. (المادة 41 من قانون 98- 04 المؤرخ بتاريخ 15 يونيو 1998 المتعلق بالتراث الثقافي في الجزائر، الجريدة الرسمية، العدد 44 الصادر في 17 يونيو 1998).

المباني التراثية: تعرف المنطقة التراثية بأنها مجموعة المنشآت والفراغات العمرانية ذات القيمة الأثرية أوالمعمارية أوالتاريخية أو الجمالية أوالإ جتماعية (Fitch,J.M,1982).

الاستدامة: تعرف بأنها عملية ذات أبعاد اقتصادية، بيئية، اجتماعية، تقنية ترتبط بمجالات الحياة المختلفة من خلال خليط متجانس من التطبيقات التي تتكامل مع بعضها خلال مرحلة زمنية مخطط لها. (سارة كمران احسان، 2016)

الحفاظ: تعرف على أنها تلك الاجراءات التي تكفل حماية الخصائص المعمارية والتاريخية للمناطق والابنية القديمة ذات الأهمية البالغة، متمثلة بإصلاح او إزالة علامات التآكل والتهرؤ وتأمين معايير مقبولة لحماية الفضاءات المفتوحة (شيماء حميد وسارة كامران احسان، 2016).

3. القيم والمعايير الاساسية التي تميز المباني التراثية :

يوضح الجدول (1) ضرورة الأخذ بعين الإعتبارالخصائص المميزة للمناطق ذات القيمة التراثية عند إجراء أي مشروع حفاظ وتطوير،و كذلك أسس ومعاييرالتنسيق الحضارى لدعم القيم العمرانية و المعمارية في المناطق التراثية.

الجدول (1): القيم والمعايير الاساسية المميزة للمباني التراثية

القيمة	المعايير الأساسية
قيمة تاريخية	• مبنى له ارتباط بنواحى تاريخية قومية • أقامت به شخصية مهمة محلياً أو عالمياً • له علاقة بأحداث قومية مؤثرة مهمة • له قيمة رمزية • عمر المبنى
قيمة معمارية فنية	• مبنى ذو طراز معمارى فريد ومتميز • تصميم معمارى مميز وإبداع فنى متفرد • يمثل حقبة مهمة من تاريخ الفن والعمارة • نتاج فنان أو معمارى مرموق محلياً أو عالمياً • يمثل قيمة علمية أو تكنيكية إنشائية تتسم بالندرة والتفرد
قيمة عمرانية	• المبنى له قيمة لكونه جزءاً من مجموعة عمرانية تراثية متكاملة متميزة فى تخطيطها العمراني • بالمبنى حديقة تراثية ذات أهمية بيئية وتاريخية أو التنسيق الحدائقى لها ضمن مخطط يظهربها مرحلة أوحقبة تاريخية • مبان تراثية تتكامل مع بعضها من حيث الشكل وأسلوب البناء
قيمة معنوية اجتماعية	• الارتباط على مر الزمن بوظائف اجتماعية مهمة بالمنطقة • المبنى يمثل انعكاساً لفكر أوعقيدة أو تقاليد اجتماعية بوجه عام
قيمة تقليدية محلية	• المبنى جزء من عمارة حضرية أو ريفية أو صحراوية لها طبيعة متكاملة تتميز بتاريخها وعمارتها • المبنى ضمن مجموعة معمارية بها استخدام لمواد بناء مميزة تعبر عن طبيعة المكان وتتواءم مع الظروف المناخية. • بناء تقليدى يعبر عن خبرات متراكمة عبر الأجيال من التصميم والإنشاء والحرف التقليدية

المصدر: وزارة الثقافة المصرية ، 2010

4. أهمية المحافظة على التراث :

إن حماية التراث علم قائم بحد ذاته، إضافة إلى كونه واجباً إنسانيا ملقى على عاتق البشرية بأسرها، وليس على الأمم التي تحتضن أمكنة تراثية فقط، وكثيرا ما تكون عاجزة عن ترميمها أو صيانتها أو الحفاظ على معالمها .والهدف الانساني منه هو التوثيق العمراني، أي الحفاظ على العمارة كوثيقة تاريخية تتحول إلى كتاب مفتوح لجميع الناس. وهناك فارق كبير بين الحفاظ على التراث كوثيقة عمرانية، وبين صيانته وإعادة تأهيله والتلاعب أحياناً ببعض مكوناته الاساسية لكي تؤدي وظائف جديدة معاصرة تحافظ فقط على الشكل الخارجي للعمران كوثيقة تاريخية. وفي حين يتوجب التقيد الشديد بالتكنولوجية التقليدية أو بأسلوب متوافق كلياً مع التكنولوجيا الأصلية عندما يكون الهدف هو الحفاظ على التراث العمراني كوثيقة تاريخية يتم التحلل بصورة شبه تامة من تلك القيود عندما يكون الهدف إشباع حاجات سياحية أو تجارية معاصرة (الأحبابي ،2010).

5. استراتيجيات حماية المباني التراثية :

1.5 التسجيل :هوالخطوة الأولى في حماية الأثر فتسجيل الأثر هو تحويله إلى مجموعة وثائق يمكن الرجوع إليها مستقبلاً؛ واستخدامها في كل النواحي العلمية سواء أكانت لدراسة الأثر تاريخياً، أو حضارياً أو عند وضع برامج للترميم والصيانة للأثر نفسه، و يجب أن يكون هنالك إطار عام يهتم بالتعريف بالحالة والصورة الراهنة للمبنى و اللازمة لاتخاذ القرار الترميمي المناسب إلى جانب إطار خاص للتعريف بالعناصر والمشتملات ذات القيمة المشكلة للمبنى بمعنى اٰخر فإن عمليات التسجيل للمباني الأثرية تتعامل مع المكونات المختلفة المشكلة لمجالات القيمة المتوفرة.

2.5 الترميم: هو أي عملية تدخلية هدفها الحفاظ على المعلم الثقافي وبثه للمستقبل وتقوم بتسهيل قراءته والترميم ينبني على احترام المادة القديمة والوثائق الأصلية المكونة لتلك الأعمال. (عليان، 2005)

"الترميم هي طريقة عملية عالية التخصص. وهدفه هو الحفاظ وتبيين القيم الشكلية والفنية في المعلم ويعتمد على احترام المادة القديمة وعلى الوثائق الأصلية. يجب أن يتوقف الترميم حينما تبدأ الافتراضات: في عملية البناء فإن أي أعمال تكميلية يجب أن يكون من السهل التعرف عليها من حيث الشكل والتقنية، ويجب أن تميز من حيث التصميم المعماري، ويجب أن تظهر علامة وقتنا الحاضروالترميم يجب أن يسبق ويتابع بدراسة أثرية وتاريخية للمعلم "(ICOMOS, 1964)

3.5 الصيانة: هي كل الإجراءات التنفيذية لأعمال المحافظة على المبنى ووقايته من التلف لكي يؤدى وظيفته على الوجه الأكمل أطول فترة زمنية ممكنة، و هناك ما يسمى نظرية الحفاظ التي تعتمد على الصيانة بدلاً من الترميم و المادة الرابعة من ميثاق البندقية تنص على أن الحفاظ على المعالم يتطلب قبل كل شيء صيانة دورية للأثر. (ICOMOS, 1964) الحفاظ على المبانى التراثية يرتكز على مفاهيم عامة منها ما هو بديهى مثل الصيانة الوقائية والإصلاحية وعدم الإضرار المتعمد بالمباني، ومنها ما يعتمد على أساليب فنية هندسية. و عندما تتعلق الصيانة بالمبانى ذات القيمة التراثية فإن المبدأ الأساسي هنا هو عدم تشويه المظهر العام الأصلي للمبنى وملامحه التاريخية التى يجب إبرازها و تأكيدها وعدم الإخلال بها. (الدليل الإرشادي ،2010)

4.5 الارتقاء: سياسة تحافظ على الكتلة العمرانية والتراث الحضاري القائم ولكنها تتميز عنها في أنها تختار أنواع من الأنشطة الاقتصادية التي تتناسب مع النطاق بقيمته الحضارية وبما يعود على السكان من عائد وما يعود على المبني التراثي نفسه من عائد يستخدم في صيانته.

5.5 التطوير :مجموعة من الإجراءات تتعلق بتطوير المباني والمناطق ذات القيمة التراثية لتلائم الزيادة في نمو الاحتياجات الوظيفية.

6.5 الإزالة :ترتبط هذه السياسة عادة بالأماكن المتدهورة والسيئة بالحيزات التاريخية والتي لا يرجي نفع من إصلاحها أو ترميمها .

7.5 إعادة إنشاء المبني : هي حماية المباني بإعادة بنائها قطعة بقطعة بعد إحلالها وترقيمها ويتم ذلك في نفس الموقع أو موقع جديد.

8.5 التجديد والتحديث : تعني تجهيز المبني القديم ليكون صالحا للاستعمال الوظيفي المعاصر ولكنها لا تمتد إلى المباني الأثرية.

9.5 الإحياء :والمقصود به إعادة المنطقة أو المبني التراثي إلي ما كان عليه قبل ذلك، أو استعادة نشاط معين مع تطويره.

10.5 إعادة الاستعمال: هوأسلوب الحفاظ على المبنى القديم عن طريق إعادة استخدامه إما بنفس الوظيفة القديمة أو بوظيفة جديدة مواكبة لمتطلبات العصر ومغايرة للوظيفة الأصلية.

11.5 إعادة التأهيل :الإجراءات التي من خلالها تتم ملائمة المبنى للاستخدام من خلال تغيير أو إصلاح أو إضافات مع المحافظة على الأجزاء والخصائص التي تنقل تاريخه وثقافته وقيمه المعمارية.

12.5 التدعيم أو التقوية : تعرف عملية التقوية على أنها إضافة مواد لاصقة أو مقوية لنسيج المبنى.

13.5 إعادة البناء : يستخدم هذا الأسلوب بغرض إنشاء مبنى جديد يماثل مبنى قديم إلى أقصى حد ممكن من خلال دراسات تاريخية أو أثرية أو شواهد أخرى ويتم استخدام هذا الأسلوب فى حالة المباني ذات الأهمية التاريخية والتي قد دمرت كلياً أو جزئيا ولم يبقى شاهد عليها سوى السجلات التاريخية أو بعض الأطلال المتبقية.

14.5 المناسخة: هي عمل نسخة مطابقة للمبنى أومشابهة له وغالباً ما يكون بغرض متحف. وتتلخص مجمل هذه الطرق في الشكل1 (أبو ليله و البرقاوي، 2018).

6. استدامة المواقع التراثية :

وضعت الحكومات في مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية والبيئة (UNCED) عام 1992 تعهدا لاتخاذ استراتيجية عالمية من أجل الاستدامة، تتضمن هذه الاستراتيجية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في إطار الحفاظ على الموارد الطبيعية والبيئية لتحقيق الاحتياجات المستقبلية، وقد اتسع مفهوم الاستدامة ليمتد امتدادا طبيعيا لعمليات الحفاظ على المواقع التراثية فيشمل مفهوما أعم وأشمل لتلك العملية كخطوه ثانيه من خطوات التعامل مع المواقع التراثية، وقد ركزت التعريفات الحديثة للتنمية المستدامة على ثلاث دعامات للاستدامة وهي: الدعامة الاقتصادية، الدعامة البيئية، والدعامة الاجتماعية، فاستدامة المواقع التراثية ما هي إلا خطوه ومرحله ممهده لعمليات استثمارها، فاستدامة التراث تعني الحفاظ عليه لتحقيق الاحتياجات المستقبلية أي تعظيم دور تلك المواقع التراثية لتحقيق أقصي فائده ماديه ومعنويه واجتماعيه منها مع الحفاظ عليها للأجيال القادمة (أبو ليله و البرقاوي، 2018).

7. الدلائل الإرشادية والمعايير القياسية أسس لاستدامة وحماية المبانى والمناطق التراثية :

تعتبر الدلائيل الإرشادية أسس ومعايير للتعامل مع المبانى والمناطق التراثية تهدف لتحقيق أرقى مستوى أداء فيما يتعلق بحماية الثروة العقارية المتميزة (وزارةالثقافة، 2010). فهي تعمل على رصد وتوثيق التراث المعماري والعمراني المتميز، والحفاظ على ما تبقى من مبانٍ وفراغات عامة وحدائق تجسد تاريخ المدن، وذلك بإعداد خطط الحفاظ وإعادة التوظيف للمبانى التراثية أواحياء وارتقاء أوإعادة بناء بعض الأحياء والشوارع التاريخية. (الدليل الأرشادي ،2010)

وتبرز أهمية الدليل الإرشاد ي للمحافظة على المناطق التاريخية فيما يلى :

توجيه مالكي الأماكن التراثية والمختصين بأعمال الحفاظ والإستشاريين والمهندسين والمقاولين....إلخ.

تحدد نوعية وأشكال التدخلات وتقييمها ومقدارها بحسب أولو ية القيمة التاريخية وفق مخطط الحفاظ

تفسر بعض الحلول القانونية بشأن الوقفيات، ونزع الملكية بحسب الحاجة العامة الملحة وكيفية تعويض المالك

تساعد على تحليل المشاريع المقدمة للتمويل من الجهات الحكومية وغير الحكومية. (عزيزة، 2014)

8. خلاصة بعض التجارب العالمية في هذا الميدان :

1.8 التجربة الكندية :

استدامة الحماية والحفاظ على المباني والمواقع التراثية تتمثل في الإلتزام بتوفيرالعوامل الا قتصادية والاجتماعية والعمرانية ضمن أسس بيئية تتكامل من خلال الأطرالتشريعية والدلا ئل الإرشادية للمعاييروالمبادئ التوجيهية لحفظ وحماية المباني والمناطق التراثية .

وضع دليل للتفاهم والتخطيط والتدخل على المكان التاريخي كجزء من دورة الاستخدام والتصليح والصيانة الدورية والتزام الجهات الادارية بتطبيقه عوامل تساعد على استدامة الحماية والحفاظ .

دقة الارشادات والاجراءات التنفيذية للمبادئ التوجيهية للحفاظ على المناطق التراثية يحقق الفهم والاستيعاب والمساعدة في تطبيق المعاييروتحديد مدى الإلتزام بها في سياق التدخلات الحساسة للأ ماكن التاريخية، وتعتبر أساسا للحفاظ على الهوية العمرانية ويزيد كفاءة استخدام المناطق التراثية وتنميتها سياحيا .

التناغم بين المكونات التصميمية للمبانى التراثية وفهم البيئة المحيطة بها يساعد على الاستغلال الأمثل للمبانى والمناطق التراثية، ويزيد من استدامة الحماية والحفاظ لها .

إعادة تأهيل المبانى والمواقع التراثية، مع تشجيع الجمعيات ومنظمات المجتمع المدني وتطوير سلوكيات مالكى المبانى التراثية ومستخدميها ركيزة من ركائز الإ ستدامة .

2.8 التجربة المصرية :

المنهجيات المقترحة لتطبيق الدليل الإرشادي ودورها فى استدامة المبانى والمناطق التراثية هي:

منهجية التوثيق والتسجيل المستدام للمبانى التراثية

منهجية استدامة المخططات التنموية للحفاظ على المباني و تطوير المناطق التراثية

منهجية استدامة التنمية السياحية لحماية المباني والمناطق التراثية

منهجية توزيع الادوار التنفيذية المستدامة لتنفيذ مشروعات الحفاظ على المباني والمناطق التراثية

9. دراسة حالة المنطقة التراثية السكنية بأولاد جلال :

إن المجمع السكني 80 شقة اجتماعية المتواجد بأولاد جلال الشكل (1) ولاية بسكرة في الجنوب على بعد 318 كم من العاصمة الجزائر، ذات المناخ الشبه الجاف يعتبر تجربة فريدة من نوعها وذات قيمة تراثية فنية مستدامة مميزة من تصميم المهندس المعماري حسن فتحي الممثل في مكتب دراسات الأخوة المنياوي وذلك في ثمانينات القرن الماضي.

الشكل (1) : موقع المدينة

المصدر: الباحث

1.9 معايير تصنيف المجمع السكني كمنطقة تراثية :

اعتمدت عدة قيم لتصنيف هذا المجمع كقيمة تراثية وذلك وفقا لتصنيف وزارة الثقافة المصرية 2010 كما يلي:

قيمة معمارية فنية: لكونه مبنى ذو طراز معماري فريد و متميز، ذات تصميم معماري مميز و إبداع فني منفرد، ونتاج عمل معماري مرموق عالميا. فهو يمثل قيمة علمية إنشائية تتسم بالندرة و التفرد.

قيمة عمرانية: حيث أن وحدة التشكيل تعتبر جزءا من مجموعة عمرانية تراثية متكاملة، متميزة بتخطيطها العمراني.

قيمة تقليدية محلية حيث يعتبر المجمع السكني جزءا من عمارة صحراوية لها طبيعة متكاملة تتميز بتاريخها وعمارتها. المجمع ضمن مجموعة معمارية بها استخدام لمواد بناء متميزة تعبر عن طبيعة المكان و تتلاءم مع الظروف المناخية. و أخيرا فهو يعتبر بناءا تقليديا يعبر عن خبرات متراكمة من التصميم و الإنشاء و الحرف التقليدية.

2.9. دراسة تحليلية للمجمع :

التصميم المعماري اعتمد على أسس العمارة الخضراء لترشيد استهلاك الطاقة في هذه المباني السكنية من خلال تطبيق عدة معالجات بيئية طبيعية و بيئية ميكانيكية.

1.2.9. المعالجات البيئية الطبيعية: قد شملت التكيف مع المناخ، الحفاظ على الطاقة، المحافظة على الموارد الطبيعية، توظيف مواد البناء صديقة البيئة والتصميم الشامل. تم من خلاله معالجة بيئية للكفاءة الحرارية للسكان، للتهوية والإضاءة الطبيعيتين.

2.2.9. المعالجات البيئية الميكانيكية: وقد شملت استخدام موارد الطاقة المتجددة خاصة طاقة الرياح وكذلك إعادة التدوير.

3.2.9. كفاءة ترشيد الطاقة: أخذت بعين الإعتبار في جميع مراحل دورة حياة المجمع من التصميم إلى الهدم أو التعديل، كما هو مبين في الجدول (2).

الجدول (2): كفاءة ترشيد الطاقة في دورة حياة المجمع

مراحل المبنى	مرحلة التصميم	مرحلة الإنشاء والتشييد	مرحلة التشغيل	مرحلة الهدم أو التعديل
كفاءة ترشيد الطاقة	تصميم الغلاف الخارجي بصورة بيومناخية.	إستخدام إسلوب التنفيذ الذي يقلل من الطاقة المهدرة في تنفيذ العمل في زمن مناسب.	إستخدام الحلول السلبية في التهوية، التبريد و الإضاءة	إستغلال المواد الخارجة من المبنى في صناعة مواد جديدة و إشغال الفراغات بفعاليات أخرى.

المصدر : الباحث

3.9. توظيف المعالجات البيئية الطبيعية في المجمع السكني :

وظفت المعالجات البيئية في جميع مراحل دورة حياة المجمع السكني على أسس و مبادئ الإستدامة و العمارة الخضراء. و طبقا لأساليب التصميم السالب مطبقة على مكونات الغلاف الخارجي من جدران ، أسقف و فتحات و بإدماج عناصر تصميمية تراثية كالملقف و المشربية و الفناء الحوش و أخرى معاصرة. كل هذه المعالجات منحت المشروع صبغة تراثية مبنية على أسس الإستدامة، كما هو موضح في الجدول (3).

الجدول (3): المعالجات المعمارية البيئية المستدامة في دورة حياة المجمع

المراحل	الأسس	أساليب التصميم السالب طبقا لأسس العمارة الخضراء		التطبيقات				
				التصميم المعماري للمجمع	الغلاف الخارجي المبنى			عناصر تصميمية و Landscape
					الحوائط	الأسقف	الفتحات	
مرحلة التصميم	– التكيف مع المناخ – التصميم الشامل	تحقيق كفاءة الراحة الحرارية	– التصميم المعماري المناخي للمبنى . (توجيه– تشكيل– تكتيل). – تصميم الغلاف الخارجي (أسقف– حوائط– فتحات). – إستخدام عناصر تصميمية. – مواد البناء المستخدمة	– نسب أبعاد المبنى. – تشكيل المبنى. – توجيه المبنى. – توجيه الغرف داخل المبنى. – التقليل من مسطح الحوائط الخارجية نسبة الى حجم المبنى.	– زيادة السمك. – العزل الحراري. – الإظلال. – استخدام ألوان عاكسة. – مواد البناء المستخدمة.	– الإظلال. – أستخدام ألوان عاكسة. – إستخدام مواد ذات محتوى حراري كبير لمنع التسرب الحراري للداخل.	– تقليل الفتحات بالواجهة الجنوبية. – وسائل تظليل الفتحات الخارجية والداخلية. – موانع التسرب.	– إستخدام الحجارة للعزل الحراري. – إستخدام الأفنية الداخلية للتبريد. – إستخدام المزروعات لتقليل الحمل الحراري.
		تحقيق كفاءة	– تصميم وتوجيه الفتحات.	– تشكيل وتكتيل المبنى.	– توجيه الرياح الى داخل	– إرتفاع السقف.	– توجيه الفتحات	إدخال عناصر تصميمية تراثية

		التهوية	– إستخدام عناصر تصميمية تراثية ومتقدمة.	– توجيه المبنى نحو الرياح المرغوبة. – إرتفاع المبنى.	المبنى. – إستخدام الحوائط المتكسرة لتعظيم التهوية داخل المبنى.		للأستفادة بأقصى قدر من نسيم الصيف.	كالملقف لتحقيق التهوية الطبيعية.
		تحقيق كفاءة الإضاءة الطبيعية	– تصميم وتوجيه الفتحات. – إستخدام عناصر تصميمية تراثية ومتقدمة.	– تشكيل المبنى. – توجيه المبنى.	– الإضاءة من خلال الفتحات العلوية. – توزيع النوافذ.		– إستخدام المشربيات لتوزيع الإضاءة وتقليل البهر.	– إستخدام الفراغات المعمارية كالأفنية الداخلية لإدخال الإضاءة لعمق المبنى.
	– مواد صديقة للبيئة	– إستخدام مواد البناء المحلية والمتوفرة من المصادر الطبيعية المحيطة. – إستخدام المواد طويلة الديمومة. – إستخدام مواد صديقة للبيئة قابلة للتدوير						
مرحلة الإنشاء والتنفيذ	– لحفاظ على الطاقة	– كفاءة أداء مهندس ومدير الموقع لتنفيذ العمل في زمن مناسب. – محاولة الإعتماد على العمال قدر الإمكان بدل المعدات. – الإعتماد على التهوية الطبيعية قدر الإمكان. – الإعتماد على الإضاءة الطبيعية قدر الإمكان						
مرحلة التشغيل	إستخدام الحلول السلبية في التهوية، التبريد و الإضاءة							
مرحلة الهدم	– إعادة التدوير	– إعادة إستخدام الفراغات والمباني لوظائف وأنشطة أخرى بدل من هدمها.						

المصدر : الباحث

4.9 التطبيق الميداني لهذه المعالجات في المجمع السكني

توضح الجداول 4، 5، 6 صور و مخططات لكيفية التطبيق الميداني لهذه المبادئ.

5.9 رصد التغييرات المتعمدة و الغير متعمدة التي تهدد ديمومة المجمع السكني

يتعرض هذا الموقع التراثي يوما بعد يوم إلى عمليات تغيير و تحويل تغير الوجه التاريخي لهذه العمارة ومشهدها الحضري بحجة تطور الاحتياجات العصرية للسكان. ألحقت بهذا الموروث المعماري أضرار جمة، حيث استبدلت أجزاء من نسيجه العضوي بأجزاء جديدة تسببت في عزله وهددت بقاءه . جاءت هذه التغييرات نتيجة لعدة متطلبات ضرورية للسكن و للساكن من صيانة، إزالة، إعادة الاستعمال، التطوير و التجديد و التحديث الشكل (2).

1.5.9.الصيانة: هي كل أشغال المحافظة والصيانة الوقائية والإصلاحية المنجزة من قبل الساكن لأجل وقاية المبنى من التلف لكي يؤدى وظيفته على الوجه الأكمل أطول فترة زمنية ممكنة، وذلك ياستخدام مادة الطوب العصرية عوضا عن الحجارة المنحوتة باليد لعدم توفر يد فنية مؤهلة. مما أدى إلى تشويه المظهر العام الأصلي للمبنى وملامحه التاريخية التى يجب إبرازها و تأكيدها وعدم الإخلال بها الشكل (3).

2.5.9. الإزالة : خصت هذه العملية الملقف كعنصر للتهوية و التبريد السلبيين و المشربية كعنصر حجب الرؤية على مستوى الفتحات. مما أثر على المشهد الحضري العام الشكل (4).

3.5.9. اعادة الاستعمال: إعادة استخدام الطابق الأرضي أو جزء منه بوظيفة جديدة مواكبة لمتطلبات العصر ومغايرة للوظيفة الأصلية. تم ذلك بتحويل الطابق الأرضي إلى محلات تجارية بدلا عن السكن الشكل (5).

4.5.9. التطوير : مجموعة من الإجراءات قام بها السكان على مستوى الغلاف الخارجي والداخلي لتطوير المسكن لتلائم الزيادة في نمو الاحتياجات الوظيفية. أين تم غلق عنصر أساسي في فكرة التصميم المعماري ألا و هو الملقف الذي استبدل بمدخنه أو خزانة حائط لأسباب تختلف من ساكن لأخر الشكل (6).

5.5.9. التجديد والتحديث :تجهيز المبني القديم ليكون صالحا للاستعمال الوظيفي المعاصر الشكل (7).

الجدول (4): المعالجات المعمارية البيئية المستدامة الميدانية في كفاءة التهوية الطبيعية

المتطلبات	المعالجات	- توجيه المبنى اتجاه الرياح المحبة و اعتماده على حركة الهواء في الأفنية
كفاءة التهوية الطبيعية	التصميم المعماري	
الغلاف الخارجي	الحوائط	- إستخدام الحوائط المنكسرة لتقوية حركة الهواء 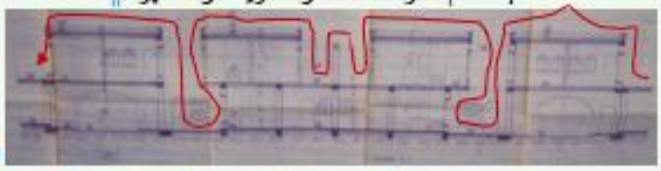
	الفتحات	- إستخدام الفتحات العلوية لخروج الهواء الساخن.
عناصر التصميمية و Landscape		- استخدام الملقف لجذب الهواء 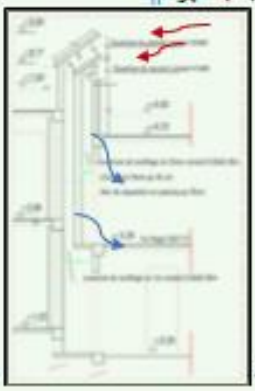

المصدر : الباحث

الجدول (5): المعالجات المعمارية البيئية المستدامة الميدانية في كفاءة

المتطلبات	المعالجات	التوجيه ، التشكيل، التكتيل
كفاءة الراحة الحرارية	التصميم المعماري	- إستخدام المبنى نفسه لإظلال الفتحات في الواجهة والفناء.
		استخدام التكتيل لإظلال الممرات والمباني والمداخل 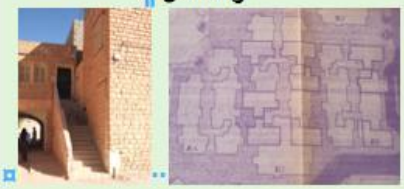
الغلاف الخارجي	الحوائط	- إستخدام حوائط سميكة من مواد محلية وهي الحجر الجيري بسمك 50سم
	النباتات	- إستخدام النباتات لتلطيف الهواء

المصدر : الباحث

الجدول (6): المعالجات المعمارية البيئية المستدامة الميدانية في كفاءة الإضاءة

المتطلبات	المعالجات	التوجيه ، التشكيل، التكتيل
كفاءة الإضاءة الطبيعية	التصميم المعماري	- توجيه المبنى بإتجاه الشمال وتكتيله بوضع الفناء و اللوجيا لإدخال الإضاءة الطبيعية إلى الفراغات الداخلية.
الغلاف الخارجي	الحوائط	- الإضاءة من خلال الفتحات العلوية.
	الفتحات	إستخدام المشربيات لتجانس الإضاءة ومنع البهرو أيضا الفتحات العلوية

المصدر : الباحث

الشكل (2) : صور عن بعض التغييرات المرصودة

المصدر : الباحث

الشكل (3) : التغييرات المنجزة بهدف الصيانة

المصدر : الباحث

الشكل (4) : إزالة بعض العناصر المعمارية (الملقف و المشربية)

المصدر : الباحث

الشكل (5) : التغييرات المنجزة بهدف إعادة التأهيل

المصدر : الباحث

الشكل (6) : التغييرات المنجزة بهدف التطوير

المصدر: الباحث

الشكل (7) : التغييرات المنجزة بهدف التجديد و التحديث

المصدر : الباحث

النتائج

أوضحت نتائج الدراسة التحليلية بأن هنالك تطبيقات هامة توفي بإحتياجات المبنى لتحقيق راحة الإنسان، وشملت، الملقف والمشربية والفناء ... ألخ.
أسس التصميم المستنبطة من الدراسة التحليلية تشمل : **كفاءة الراحة الحرارية، كفاءة التهوية الطبيعية و كفاءة الإضاءة الطبيعية.**

قدم البحث خطوات إرشادية يجب أن يشملها التصميم البيئي للمبنى على أربع مستويات :

- **المستوى الأول**
- التصميم المعماري للمبنى، ويشمل :
- التوجيه.
- التكتيل.

- **المستوى الثاني**
- تصميم الغلاف الخارجي، ويشمل :
- تصميم السقف.
- تصميم الحائط.
- تصميم الفتحات.
- –ويجب إضافة العوازل الحرارية وإختيار مواد البناء ذات السعة الحرارية العالية، وأنواع الزجاج العازل للحرارة.

- **المستوى الثالث**
- هنالك عناصر تصميمية يجب أن يشمل التصميم البيئي بعض منها، وهي :
- الملقف.
- الفناء.
- المشربية.
- وسط الدار.

- **المستوى الرابع**
- إستخدام المزروعات، ويمكن توظيفها بثلاث طرق، وهي :
- الإتجاه الأفقي.
- الإتجاه الرأسي.
- حدائق الأسطح.
- توظيف الطاقات المتجددة

الخـــــلاصة

المجمع السكني التراثي البيوميناخي 80 شقة بأولاد جلال يمثل نموذجا طبقت فيه المفاهيم الأساسية للتكيف مع البيئة على عدة مستويات، يمكن توظيف عناصره التراثية وتطويرها لتتوائم مع إحتياجات الإنسان في الفترة الحالية، كتطبيق ملقف الهواء و المشربية ، وتوظيف الطاقات المتجددة في المبنى. لذلك يجب صيانته و المحافظة عليه من الاندثار و توثيقه كتراث معماري مكتسب يستفاد منه في المشاريع الجديدة.

التوصيات المقترحة

يوصى في ختام الورقة البحثية بعدة توصيات هي كالتالي :

إعداد دليل ارشادى للمبانى والمناطق التراثية للمدينه و المتضمنه لجميع أعمال المهندس المعماري حسن فتحي و ذلك بـ:

- وضع منهجية واضحة لعملية توثيق وتسجيل هذه المباني التراثية،
- تحديد الجهة المختصة التي تتولى متابعة تنفيذ الشروط الواردة بحماية التراث،حتى لا يحدث تدخلات فى الاختصاصات بين الجهات المعنية بمتابعة ومراقبة التنفيذ .
- توضيح المنهج التخطيطى لحماية وإعادة تأهيل المنطقة التراثية السكنية
- وضع مع توضيح المنهجيات المستدامة المقترحة لتنفيذ تلك المشروعات واليتها التنفيذية وكيفية استثمارها
- مراعاة أن يتضمن الدليل الإرشادى معايير تخطيطية واشترطات كمية وفنية لحماية هذا التراث المعمارى .

التعاون وتبادل الخبرات بين الجهة المركزية المعنية وباقى الإدارات المعنية من خلال عقد الملتقيات والندوات وورشات العمل لتحديث وتطويرالدلائل الإرشادية للمبانى والمناطق التراثية بكل ما من شأنه تطويرتكنولوجيا الحفاظ والمستجدات في الساحةأوتثبيت الإجراءات المتبعة فيه.

المـــــراجع :

1. وزارة الثقافة (2010)، الجهاز القومى للتنسيق الحضارى، الدليل الإرشادى رقم (1) أسس ومعايير التنسيق الحضارى للمبانى والمناطق التراثية، اول اصدار، مصر.

2. الدليل الارشادي (2010)، أسس و معايير التنسيق الحضاري للمباني و المناطق التراثية، الاصدار الأول، الطبعة الأولى، جمهورية مصر العربية ص19، ص20 .

3. أبو ليله و البرقاوي (2018)، منهجيات الحفاظ على التراث العمراني والمعماري في الدول العربية، المجلة الدولية في العمارة و الهندسة و التكنولوجيا. http ://www.ierek.com/press

4. الا حبابي، شيماء حميد (2010)، الاستدامة الاجتماعية في العمارة المحلية، اطروحة دكتواره غير منشورة، قسم الهندسة المعمارية، جامعة بغداد .

5.عليان جمال (2005)، الحفاظ على التراث الثقافي- نحو مدرسة عربية للحفاظ على التراث الثقافي وإدارته، إصدارات المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت، ص16،74.

6. عزيزة قاسم على النفيعي، أحمد سعيد عبد عامر، بشير ناجي محمد الكينعى (2014)، دور الأدلة الإرشاد ية والمعايير القياسية في الحفاظ على المدن التاريخّية دارسة حالة مدينة صنعاء القديمة، ملتقى التراث العمراني الوطني الرابع،أبها،1-4 ديسمبر2014م، المملكة العربية السعودية .

7. حسام الدين مصطفى النورصالح (2010)، تقييم البعد التشريعى لحماية التراث العمرانى في جمهورية مصرالعربية، المؤتمرالدولى للتراث العمرانى في الدول الإسلامية، الرياض، ماي2010م.

8. كمونة حيدر (1986)، التجديد الحضري للمدينة العربية القديمة وأصالة الحلول التخطيطية والمعمارية، جامعة بغداد، مركز التخطيط الحضري والإقليمي للدارسات العليا .

9. خالد محمود أبو بكرو أمانى ابراهيم أبو المجدعبد العال (2014)، الدليل الإرشادي لأسس ومعايير التنسيق الحضاري ودوره في استدامة المباني والمناطق التراثية دارسة حالة جمهورية مصر العربية.

10. شيماء حميد وسارة كامران احسان (2016)، سياسات التراث المستدام في مشاريع التطوير الحضري المعاصرة في المدن التارثية حالة دارسية لمشاريع التطوير لمدن عراقية تراثية (الكاظمية- الاعظمية- النجف)، المؤتمرالدولى الرابع للحفاظ على التراث بدبي.

11.الميثاق الأوربي للتراث المعماري " The European Charter of the Architectural Heritage" ، (1975).

12. المادة 41 من قانون 98- 04 المؤرخ بتاريخ 15 يونيو 1998 المتعلق بالتراث الثقافي في الجزائر، الجريدة الرسمية، العدد 44 الصادر في 17 يونيو 1998

13. Fitch, J.M (1982),Historic Preservation, curatorial Management of the built World, McGraw-Hill, New York.

14. Standards and Guidelines for the Conservation of Historic Places in Canada (2010), Canada.

15. ICOMOS (1964), International Charter for the Conservation and Restoration of Monuments and Sites (Venice Charter), http://www.international.icomos.org/charters/charters.pdf, (Visited 28/12/2011).